ISSN (print:): 2141-3584 ISSN (online): 3121-7877
Journal of the Faculty of Arts
Ahmadu Bello University • Zaria • Nigeria
https://journals.abu.edu.ng/index.php/zajola Vol. 14, No. 1, June, 2026

التأثير الثقافي والاجتماعي للغة العربية في المجتمع النيجيري في القرن الحادي والعشرين: بين الإرث التاريخي والمتغيرات المعاصرة

The Role of the Arabic Language in Nigerian Society in the 21st Century: Cultural Heritage and Contemporary Dynamics

بشير أحمد الزابوي

المحاضر بقسم اللغة العربية ,جامعة أحمد بلو زاريا–نيجيريا

azzabawibashir@gmail.com

Abstract

This study seeks to analyze the cultural and social influence of Arabic language in Nigerian society during the 21st century, by tracing its historical roots prior to the colonial period and examining its presence in religion, education, literature, culture, and social identity. The research adopts a descriptive-analytical approach, supported by historical and comparative methods, in order to explore the development of Arabic in Nigeria and its current position in relation to other languages, particularly English and local languages. The findings demonstrate that Arabic has, for centuries, served as a principal medium for transmitting religious knowledge and Islamic sciences, as well as a vehicle for shaping cultural consciousness. It has also produced a rich intellectual and literary heritage, exemplified in African Arabic poetry and numerous works in jurisprudence and theology. Furthermore, Arabic has reinforced the social authority of scholars and religious elites, and has linked Nigerian society with broader Islamic world. However, the study also highlights significant challenges confronting Arabic today, including the dominance of English as the official language of education and administration, the pervasive impact of globalization and modern media, and the relative weakness of formal Arabic educational institutions. The study concludes that the future of Arabic in Nigeria remains promising if its historical and cultural legacy is effectively harnessed through curriculum modernization, strengthened academic cooperation with the Arab world, and the strategic use of digital media, while also linking Arabic to contemporary intellectual and social development.

Keywords: Arabic Language – Nigeria – Culture – Society – 21st Century.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

اللغة العربية إحدى اللغات العالمية الحيّة التي امتد تأثيرها خارج نطاقها الجغرافي الأصلي ليشمل قاراتٍ عدّة، وفي مقدمتها القارة الإفريقية. وقد كان لنيجيريا – باعتبارها من أكبر البلدان الإفريقية من حيث عدد السكان المسلمين، ومركزًا حضاريًا بارزًا في غرب إفريقيا – نصيب وافر من هذا التأثير، إذ لعبت العربية دورًا محوريًا في تشكيل الوعي الديني والثقافي والاجتماعي لمختلف المكوّنات العرقية والدينية في البلاد. ومع دخول القرن الحادي والعشرين، برزت الحاجة الملحّة إلى دراسة موقع اللغة العربية في ظل التحولات المتسارعة التي يشهدها المجتمع النيجيري بفعل العولمة، وهيمنة اللغات الأجنبية، والمتغيرات السياسية والاجتماعية المعاصرة.

أهمية الموضوع

تنبع أهمية هذا الموضوع من كونه يعالج قضية لغوية وثقافية واجتماعية ذات أبعاد متشابكة، إذ إن العربية لم تكن مجرد وسيلة للتواصل الديني فحسب، وإنما غدت حاملةً لإرث حضاري ومعرفي أسهم في بناء الهوية الجماعية للمجتمع النيجيري. كما أنّ دراسة العربية في سياقها النيجيري المعاصر تكشف عن دينامية التفاعل بين اللغة والتاريخ والواقع الاجتماعي، وهو ما يمنح هذا البحث قيمة أكاديمية تتجاوز البُعد اللغوي الضيّق إلى آفاق أوسع تتصل بالدراسات الثقافية والأنثروبولوجية.

دواعي اختيار الموضوع

اختير هذا الموضوع لاعتبارات عدّة، أهمها:

1. الحاجة إلى إبراز الدور التاريخي والحضاري للغة العربية في نيجيريا بوصفها لغةً للتعليم والثقافة والهوية.
2. قلة الدراسات الأكاديمية الحديثة التي تتناول التأثيرات الثقافية والاجتماعية للعربية في نيجيريا ضمن إطار القرن الحادي والعشرين.
3. الرغبة في الموازنة بين الإرث التاريخي للعربية والمتغيرات الراهنة التي تهدد حضورها، ومن ثم استشراف مستقبلها في ضوء هذه التحولات.

أهداف البحث وإشكاليته

يهدف البحث إلى تحقيق ما يلي:

- الكشف عن الجذور التاريخية للعربية في نيجيريا، ودورها في تشكيل الثقافة المحلية.
- إبراز إسهامات اللغة العربية في الحياة الدينية والأدبية والاجتماعية.
- تحليل التحديات التي تواجه العربية في ظل المتغيرات الحديثة.
- استشراف مستقبل اللغة العربية في المجتمع النيجيري.

وتتمثل إشكالية البحث في التساؤل المركزي: إلى أي مدى استطاعت اللغة العربية أن تحافظ على تأثيرها الثقافي والاجتماعي في المجتمع النيجيري خلال القرن الحادي والعشرين، في ظل التحديات والمتغيرات المعاصرة؟

المنهج المعتمد

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي- التحليلي، إذ يقوم على جمع المعطيات التاريخية والثقافية والاجتماعية المتعلقة بالعربية في نيجيريا، وتحليلها للكشف عن مظاهر التأثير والتأثر. كما يُستأنس بالمنهج التاريخي لتتبع تطور حضور اللغة العربية منذ عصور ما

قبل الاستعمار إلى العصر الحديث، بالإضافة إلى توظيف المقاربة المقارنة لإبراز موقع العربية بين اللغات الأخرى في نيجيريا، سواء المحلية منها أو الأجنبية.

المحور الأول: الجذور التاريخية لانتشار اللغة العربية في نيجيريا

تمهيد

إنّ دراسة الحضور التاريخي للغة العربية في نيجيريا تمثل مدخلًا أساسيًا لفهم طبيعة تأثيرها الثقافي والاجتماعي في الوقت الراهن. فالعربية لم تصل إلى نيجيريا عن طريق الاستعمار أو النفوذ السياسي، وإنما عبر قنوات حضارية طبيعية تمثّلت في التجارة، والدين، والعلم، والحركات الإصلاحية. وهذا الامتداد العميق يفسّر المكانة التي ظلت تحتلها العربية في المجتمع النيجيري قرونًا طويلة.

أولًا: طرق وصول اللغة العربية إلى نيجيريا

تشير الدراسات إلى أنّ العربية وصلت إلى نيجيريا عبر طرق التجارة الصحراوية التي ربطت شمال إفريقيا بغربها، خاصة عبر مدن: غاو، وتمبكتو، وكَنُو. وكان التجار المسلمون ينقلون معهم الكتب والقرآن الكريم إلى جانب السلع. ومع التجارة جاء العلماء والدعاة الذين أسهموا في نشر الإسلام وتعليم اللغة العربية (عبد الله، 2005: ص 112).

وقد شكّلت الهجرات العلمية عاملًا آخر في انتشار العربية؛ إذ رحل عدد من طلاب العلم النيجيريين إلى مراكز علمية مثل فاس والقاهرة ومكة المكرمة، ثم عادوا إلى بلادهم حاملين علوم العربية ومعارفها.

ثانيا: العربية لغة الدين والتعليم الإسلامي

منذ دخول الإسلام إلى نيجيريا، ارتبطت العربية بالقرآن الكريم، فأصبحت لغة الشعائر الدينية، والتعليم القرآني، والتفسير، والفقه، والحديث. وقد نشأت المدارس التقليدية (المساجد والمدارس القرآنية) التي جعلت العربية لغة التدريس والتأليف. وبذلك، ارتبطت مكانة العالم أو القاضي بقدرته على إتقان العربية وفهم مصادر التشريع (الحاج، 2010: ص 88).

ثالثا: العربية في الممالك الإسلامية

برز دور العربية بوضوح في ممالك: هَوْسَا، وفُلَانِي، وبَرْنُو، حيث اتخذتها هذه الممالك لغة القضاء والمراسلات الدبلوماسية. وقد ساعد ذلك على ترسيخ العربية في البنية السياسية والاجتماعية. وفي القرن التاسع عشر، مثّلت حركة الشيخ العلامة المجدد عثمان بن فودي (ت: 1817م) نقطة تحوّل، إذ اعتمدت العربية في خطاباتها، ورسائلها، ومؤلفاتها، وأصبحت وسيلة لنشر التعليم الإصلاحي والفقه الإسلامي (الزبير، 1999: ص 210).

رابعا: إرث المخطوطات والمؤلفات العربية في نيجيريا

خلف العلماء النيجيريون تراثًا عربيًا غنيًا، يشمل كتبًا في الفقه، والعقيدة، والتصوف، واللغة، إضافة إلى الشعر العربي الإفريقي؛ ومن أبرز هؤلاء: الشيخ عثمان بن فودي، وعبد الله بن فودي، ومحمد بلّو. كما أنّ المكتبات النيجيرية القديمة (مثل مكتبة كَنُو وسُكُتُو) ما تزال تحتفظ بمئات المخطوطات العربية، التي تشهد على رسوخ العربية في الحياة العلمية والثقافية (Hunwick, 1995:34).

ويتضح من العرض السابق أنّ العربية لم تكن غريبة عن المجتمع النيجيري، بل اندمجت في نسيجه منذ قرون، عبر التجارة، والتعليم، والدين، والحركات الإصلاحية. وقد مهد هذا

الإرث التاريخي الطريق للتأثير الثقافي والاجتماعي للعربية في العصور اللاحقة، بما في ذلك القرن الحادي والعشرين.

المحور الثاني: التأثير الثقافي للغة العربية في نيجيريا

لا يقتصر حضور اللغة العربية في نيجيريا على الجانب الديني وحده، بل يتجاوز ذلك ليشمل ميادين الثقافة والفكر والأدب. فقد أصبحت العربية أداة للتعبير عن الهوية الدينية والثقافية للمسلمين النيجيريين، كما شكّلت قناة للتواصل مع العالم الإسلامي، وأسهمت في إنتاج تراث أدبي وعلمي غني.

أولا: العربية والهوية الدينية والثقافية

ارتبطت العربية بالقرآن الكريم والعلوم الشرعية، وهو ما جعلها في وعي المجتمع النيجيري لغة الدين والقداسة. وقد أضحت معرفة العربية جزءًا من مكونات الهوية الإسلامية، بل علامة على الانتماء الثقافي الإسلامي. وفي هذا السياق، يؤكد الحاج (2010: ص 95) أنّ إتقان العربية كان ولا يزال معيارًا لعلوّ المكانة العلمية والاجتماعية.

ثانيا: الأدب العربي الإفريقي

أنتج العلماء والأدباء النيجيريون نصوصًا عربيةً تُعد جزءً من الأدب العربي الإفريقي، شملت الشعر والنثر. فقد عبّروا من خلالها عن قضاياهم الدينية والسياسية والاجتماعية. ويذكر هُنويك (Hunwick, 1995: 78) أنّ مدينة "سكتو" وحدها كانت مركزًا لإنتاج عشرات الدواوين الشعرية بالعربية في القرن التاسع عشر، حيث تناولت موضوعات الإصلاح والدعوة والجهاد ضد الجهل والبدع.

ثالثا: العربية والعلوم الإسلامية

لقد شكّلت العربية الوعاء الأساس للعلوم الإسلامية في نيجيريا. فالمؤلفات الفقهية والعقدية والصوفية كانت تُكتب بالعربية، وتُدرَّس في المدارس التقليدية. ويرى عبد الله (2005: ص 156) أنّ العربية في نيجيريا لم تُستخدم كلغة أدب فحسب، بل كأداة للتقعيد العلمي، ونقل المعارف الإسلامية التي أسهمت في صياغة العقل النيجيري المسلم.

رابعا: دور العربية في تشكيل الوعي الجمعي والذاكرة الثقافية

لم تكن العربية مجرد أداة للتعليم الديني، بل أصبحت جزءً من الذاكرة الثقافية الجماعية للمسلمين النيجيريين. فالخطب، والرسائل، والوثائق التاريخية المحفوظة بالعربية، مثل مراسلات الملوك والعلماء، تمثل سجلًا حضاريًا للهوية الجماعية. ومن أبرز الأمثلة على ذلك الرسائل المتبادلة بين سلاطين خلافة صكتو والعلماء في بلاد هَوْسَا، ولا سيما رسائل الشيخ عثمان بن فودي وأخيه عبد الله بن فودي وابنه السلطان محمد بلو، التي كُتبت بالعربية وتضمنت قضايا الإصلاح الديني، وتنظيم الحكم، والعلاقات السياسية والعلمية مع الإمارات الإسلامية المجاورة. كما تمثل الوثائق الشرعية المتعلقة بالقضاء، وعقود البيع والزواج، والفتاوى العلمية المحفوظة في مكتبات كَنُو وصكتو وبرنو نماذج حيّة لاستعمال العربية في الحياة العامة والإدارة والمعاملات. وقد أشار هنويك (Hunwick, 1996: 87) إلى أنّ المراسلات العربية في غرب إفريقيا تُعد مصدرًا مهمًا لفهم البنية السياسية والثقافية للمجتمعات الإسلامية في نيجيريا، بينما يؤكد الزبير (1999: ص 243) أنّ هذا التراث المكتوب بالعربية أسهم في خلق وعي تاريخي وثقافي مشترك بين مختلف المجموعات العرقية المسلمة في نيجيريا، ورسّخ شعور الانتماء إلى الفضاء الحضاري الإسلامي الأوسع.

ويتبين من هذا المحور أنّ التأثير الثقافي للغة العربية في نيجيريا كان عميقًا ومتعدد الأبعاد؛ فهي لغة دين وهوية، ولغة أدب وفكر، ولغة علوم ومعارف. كما أسهمت في تكوين وعي جمعي مشترك رسّخ الانتماء الإسلامي والثقافي، وربط المجتمع النيجيري بالعالم العربي والإسلامي عبر قرون.

المحور الثالث: التأثير الاجتماعي للغة العربية في نيجيريا

تجاوز تأثير اللغة العربية في نيجيريا الإطار الثقافي والأدبي ليشمل المجال الاجتماعي بمختلف أبعاده. فقد أسهمت العربية في صياغة البنية الاجتماعية، وفي ترسيخ مكانة العلماء والدعاة، كما لعبت دورًا في بناء العلاقات بين الطبقات الاجتماعية وربط المجتمع النيجيري بالعالم الإسلامي الأوسع. ويتجلّى ذلك في الروابط العلمية التي نشأت بين العلماء والطلاب عبر حلقات التعليم القرآني والمدارس العربية، وفي العلاقات الدينية التي وحّدت المسلمين من مختلف القبائل والأعراق تحت مظلة اللغة العربية بوصفها لغة الدين والشعائر. كما أسهمت العربية في تقوية الروابط الأسرية والاجتماعية من خلال استعمالها في عقود الزواج، والمواثيق الشرعية، والمراسلات الرسمية، والاحتفالات الدينية، فضلًا عن دورها في تعزيز العلاقات التجارية والدبلوماسية بين الإمارات الإسلامية النيجيرية والمراكز العلمية والتجارية في شمال إفريقيا والحجاز. وقد أدّت هذه الروابط مجتمعة إلى تكوين شبكة اجتماعية وثقافية متماسكة عزّزت روح الانتماء الإسلامي والتضامن الاجتماعي داخل المجتمع النيجيري.

أولا: مكانة العربية في التعليم التقليدي والحديث

شكّل التعليم التقليدي عبر الكتاتيب والمدارس القرآنية أبرز القنوات الاجتماعية التي كرّست مكانة العربية في نيجيريا. إذ أصبح تعلم القرآن والكتابة بالعربية شرطًا أساسًا في مسار التكوين العلمي والديني، وهو ما جعلها لغة متداولة بين فئات واسعة من المجتمع. ومع ظهور الجامعات الحديثة، استمرت العربية في الحضور من خلال أقسام اللغة العربية والدراسات الإسلامية، وذلك ما عزّز مكانتها بين الأوساط الأكاديمية (الحاج، 2010: ص 121). ويتجلى هذا التعزيز في انتشار أقسام اللغة العربية والدراسات الإسلامية في عدد من الجامعات النيجيرية الحكومية والأهلية، مثل جامعة أحمد بلو زاريا، وجامعة بايرو كنو، وجامعة عثمان بن فودي، والجامعة الإسلامية في النيجر التي تستقطب عددًا من الطلاب النيجيريين، فضلًا عن المعاهد العربية والإسلامية المنتشرة في مدن كَنُو وكَدُونَا وبَرْنُو وإِلُورِنْ. ولم يقتصر دور هذه الأقسام على تدريس اللغة العربية وآدابها فحسب، بل شمل إعداد المعلمين، وتأهيل القضاة الشرعيين، وتخريج الدعاة والباحثين، والإسهام في الترجمة والتأليف والتحقيق العلمي، إضافة إلى تنظيم المؤتمرات والندوات العلمية التي تعزز التواصل الثقافي والفكري مع العالم العربي والإسلامي. كما أسهم خريجو هذه المؤسسات في العمل في مجالات التعليم والإعلام والقضاء والإرشاد الديني والسلك الدبلوماسي، مما رسّخ الحضور الاجتماعي والمهني للغة العربية في المجتمع النيجيري الحديث.

ثانيا: العربية وسلطة العلماء في المجتمع

ارتبطت المكانة الاجتماعية في نيجيريا بالقدرة على إتقان العربية، خصوصًا بين العلماء والقضاة. فالعالم الذي يتقن العربية ويحفظ المتون الشرعية يُنظر إليه باعتباره مرجعًا دينيًا واجتماعيًا، مما يمنحه سلطة معنوية في حل النزاعات وتوجيه الناس. ويشير عبد الله (2005:

ص 177) إلى أن إتقان العربية كان معيارًا للزعامة العلمية والروحية، وأن كثيرًا من الزعامات الدينية والسياسية اكتسبت مشروعيتها عبر اللغة العربية. وقد احتفظت العربية بهذه المكانة من خلال استمرار ارتباطها بالمؤسسات الدينية والتعليمية والقضائية في المجتمع النيجيري؛ حيث ظلّ الأئمة والقضاة الشرعيون ومدرّسو العلوم الإسلامية يعتمدون العربية في التدريس والإفتاء والخطابة وكتابة الوثائق الشرعية. ومن النماذج البارزة في ذلك علماء إمارات الشمال النيجيري، مثل علماء كَنُو وصكتو وبرنو، الذين حافظوا على تقاليد التعليم العربي الإسلامي عبر الحلقات العلمية والمدارس القرآنية. كما أسهمت الأسر العلمية المعروفة، مثل أسر آل فودي وآل كنو وآل برنو، في توريث المعرفة العربية والشرعية جيلًا بعد جيل، مما أبقى للعربية حضورها الاجتماعي وهيبتها الرمزية. وفي المجتمع المعاصر ما يزال خريجو الجامعات العربية والإسلامية، ولا سيما خريجو الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وجامعة الأزهر، يحظون بمكانة اجتماعية مرموقة، حيث يتولون مهام الإمامة والقضاء والإرشاد الديني والتعليم الجامعي، الأمر الذي ساعد العربية على الاحتفاظ بدورها بوصفها لغة علم ومكانة اجتماعية في نيجيريا.

رابعا: العربية والطبقات الاجتماعية

أدى حضور العربية إلى بروز تقسيم اجتماعي قائم على المعرفة الدينية واللغوية؛ فحملة العلم الشرعي بالعربية شكّلوا طبقة النخبة المتعلمة، بينما بقيت العامة أقل احتكاكًا بالعربية إلا في حدود العبادات والشعائر. ويرى (Hunwick, 1996: 102) أنّ هذه الثنائية أنتجت طبقةً علميةً عربيةً إسلاميةً قادت المجتمع، ورسّخت قيم الاحترام والتقدير للعلماء باعتبارهم حاملي رسالة حضارية ودينية.

رابعا: العربية عنصر من عناصر التواصل مع العالم الإسلامي

أسهمت العربية في ربط نيجيريا بالعالم الإسلامي من خلال المراسلات الدبلوماسية بين السلاطين النيجيريين والحكام في شمال إفريقيا والشرق العربي. كما أن رحلات الحج والدراسة أسهمت في تعزيز هذا التواصل، حيث كان النيجيريون العائدون من مكة أو الأزهر يحملون معهم معارف عربية جديدة، وينقلونها إلى مجتمعاتهم المحلية (الزبير، 1999: ص 256). هذا الدور جعل من العربية جسرًا للتفاعل الحضاري والديني والثقافي بين نيجيريا والعالم الإسلامي.

وأخيرا؛ يتضح من هذا المحور أنّ التأثير الاجتماعي للعربية في نيجيريا كان بالغ العمق؛ فهي لم تكن لغة علم وثقافة فحسب، بل عنصرًا لبناء المكانة الاجتماعية، وتحديد موقع العلماء في المجتمع، وإنشاء قنوات تواصل فعّالة مع العالم الإسلامي. وبهذا، ساهمت العربية في ترسيخ بنية اجتماعية قائمة على الاحترام للعلم والمعرفة، وربطت المجتمع النيجيري بشبكات أوسع من التفاعل الحضاري والديني.

المحور الرابع: المتغيرات المعاصرة وتحديات اللغة العربية في نيجيريا

مع مطلع القرن الحادي والعشرين، دخلت نيجيريا مرحلة جديدة من التحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية، فرضتها العولمة وتطور وسائل الإعلام والتعليم الحديث، إلى جانب سياسات الدولة التي أولت أهمية أكبر للغات الأجنبية. في هذا السياق، وجدت اللغة العربية نفسها أمام جملة من التحديات التي أثّرت على حضورها في المجال العام، وعلى قدرتها على الاستمرار في أداء أدوارها التقليدية في التعليم والثقافة والمجتمع.

أولًا: هيمنة اللغة الإنجليزية وسياسات الدولة

تُعتبر اللغة الإنجليزية اللغة الرسمية للدولة النيجيرية، وهي لغة الإدارة والقانون والتعليم العالي. وقد أدّى هذا الوضع إلى تهميش العربية في المؤسسات الرسمية، واقتصار حضورها — لفترة طويلة — على المؤسسات الدينية والتعليمية التقليدية. ويشير عبد الله (2005: ص 193) إلى أنّ الاعتماد المفرط على الإنجليزية في المدارس والجامعات جعل العربية محصورة في نطاق محدود، مما أضعف فرصها في التأثير الاجتماعي والسياسي المباشر. غير أنّ هذا الواقع شهد تطورًا ملحوظًا في العقود الأخيرة، خاصة مع تنامي دور المجلس الوطني للغة العربية والدراسات الإسلامية (NBAIS) الذي ظَلّ يُسهِم في تعزيز حضور العربية داخل المنظومة التعليمية الرسمية من خلال الإشراف على المناهج العربية والإسلامية، وتنظيم الامتحانات الوطنية، واعتماد الشهادات، وتأهيل المعلمين، وعقد المؤتمرات والندوات العلمية، فضلًا عن التنسيق بين المؤسسات التعليمية العربية والإسلامية في مختلف الولايات النيجيرية. وقد ساعدت هذه الجهود على توسيع دائرة الاعتراف الأكاديمي بالعربية، وربطها بمؤسسات التعليم الحديث، بما أتاح لها حضورًا أكبر في المجالين التعليمي والاجتماعي مقارنة بالمراحل السابقة.

ثانيا: تأثير العولمة والإعلام الجديد

أدت الثورة الرقمية ووسائل الإعلام الحديثة إلى تعزيز حضور اللغات الأجنبية، خصوصًا الإنجليزية والفرنسية، على حساب العربية. فالجيل الجديد أصبح أكثر تفاعلًا مع المحتويات الرقمية غير العربية، وهو ما يضعف من جاذبية العربية كلغة للتواصل المعاصر. ويرى (Hunwick, 1995: 145) أنّ العولمة أسهمت في تراجع الاهتمام بالتراث العربي التقليدي، خاصة مع انفتاح الشباب على ثقافات ولغات بديلة عبر الإنترنت ووسائل الإعلام.

ثالثا: ضعف المؤسسات التعليمية العربية الرسمية

رغم وجود أقسام للغة العربية في بعض الجامعات النيجيرية، فإن هذه المؤسسات تعاني من ضعف التمويل، وقلة الكوادر المؤهلة، وغياب المناهج الحديثة التي تراعي حاجات العصر. ووفقًا لما ذكره الحاج (2010: ص 142)، فإنّ المدارس التقليدية لا تزال تعتمد أساليب تقليدية في التعليم، مما يجعلها أقل قدرة على منافسة المدارس الغربية الحديثة التي تعتمد الإنجليزية كلغة أساس.

رابعا: المنافسة مع اللغات المحلية

تتمتع اللغات المحلية مثل الهوسا واليوربا والإيبو بمكانة قوية في الحياة اليومية والأنشطة الاجتماعية. ومع أنّ بعضها يُكتب أحيانًا بالحرف العربي (العَجَمِي)، فإنّ العربية في حد ذاتها لا تُستخدم عادةً في التخاطب اليومي. ويشير الزبير (1999: ص 267) إلى أنّ التداخل بين اللغات المحلية والعربية كان مفيدًا في الماضي، لكنه في السياق المعاصر أدى إلى تراجع مكانة العربية أمام تصاعد الاهتمام باللغات الوطنية في الإعلام والتعليم والسياسة. غير أنّ السياسة التربوية الوطنية في نيجيريا أسهمت – بدرجات متفاوتة – في الحد من هذا التراجع، إذ نصّت بعض بنودها على الاعتراف بالعربية بوصفها إحدى اللغات الأجنبية المهمة في المنظومة التعليمية، وأتاحت تدريسها في مراحل التعليم المختلفة، ولا سيما في المدارس الثانوية وكليات التربية والجامعات. كما شملت سياسات التسيير التربوي اعتماد مناهج رسمية للعربية والدراسات الإسلامية، وتنظيم الامتحانات العامة الخاصة بها عبر الهيئات الوطنية المختصة، إلى جانب إدراج برامج إعداد معلمي اللغة العربية ضمن مؤسسات إعداد المعلمين. وقد وفّر ذلك للعربية نوعًا من الحضور القانوني والأكاديمي

داخل النظام التعليمي الرسمي، رغم استمرار التحديات المرتبطة بضعف التمويل وقلة الكوادر المتخصصة ومحدودية الدعم المؤسسي مقارنة باللغة الإنجليزية واللغات المحلية.

ويتضح جليًّا من هذا المحور أنّ العربية في نيجيريا تواجه تحديات جدية في ظل المتغيرات المعاصرة. فمن جهة، تفرض الإنجليزية هيمنة على الإدارة والتعليم، ومن جهة أخرى، تعزز العولمة والإعلام حضور اللغات الأجنبية على حساب العربية. كما أنّ ضعف بعض المؤسسات التعليمية العربية، إلى جانب قوة اللغات المحلية، يزيد من حدة التحديات. ومع ذلك، تبقى العربية محتفظة بمكانتها الروحية والثقافية والتربوية، وهو ما يمنحها فرصة للاستمرار والتطور إذا ما أُعيد النظر في استراتيجيات دعمها، وتفعيل السياسات التعليمية المتعلقة بها، وتعزيز حضورها في مؤسسات التعليم والإعلام والثقافة.

المحور الخامس: آفاق المستقبل واستراتيجيات النهوض بالعربية في نيجيريا

على الرغم من التحديات التي تواجه اللغة العربية في نيجيريا، فإنّ حضورها التاريخي العريق، ومكانتها الدينية والثقافية، يمنحانها فرصًا واسعة للنهضة والاستمرار. غير أنّ تحقيق ذلك يقتضي تبني استراتيجيات فعّالة تتناسب مع المتغيرات المعاصرة، وتستجيب لحاجات المجتمع النيجيري في القرن الحادي والعشرين.

أولا: تعزيز البرامج الجامعية في اللغة العربية

تمثل الجامعات النيجيرية إحدى أهم المنصات القادرة على إعادة الاعتبار للعربية. ففتح أقسام جديدة للغة العربية والدراسات الإسلامية، وتحديث المناهج بما يواكب متطلبات العصر، سيسهم في جعل العربية أكثر جاذبية للطلاب. ويؤكد الحاج (2010: ص 160)

أنّ دمج العربية في برامج أكاديمية حديثة يتيح توظيفها في مجالات الترجمة والإعلام والدبلوماسية.

ثانيا: استثمار الإعلام والوسائط الرقمية

يشكل الإعلام الرقمي فرصة مهمة لتوسيع دائرة انتشار العربية في نيجيريا، خاصة بين الشباب. فإنتاج محتويات عربية عبر منصات الإنترنت، ومواقع التواصل الاجتماعي، والبرامج التلفزيونية، سيعزز من حضورها في الفضاء العام. ويشير (Hunwick, 1995: 156) إلى أنّ الاعتماد على الوسائط الحديثة يضمن انتقال العربية من كونها لغة تقليدية إلى لغة قادرة على التفاعل مع قضايا العصر.

ثالثا: التعاون الأكاديمي والثقافي مع العالم العربي

يمكن للعربية أن تستعيد مكانتها عبر تقوية العلاقات الأكاديمية والثقافية بين نيجيريا والدول العربية. فالبعثات العلمية، والبرامج التبادلية، والمنح الدراسية، كلها وسائل تسهم في تخريج جيل جديد من المتخصصين في اللغة العربية. ويرى عبد الله (2005: ص 211) أنّ مثل هذا التعاون يعزز من الانتماء الحضاري ويمنح العربية شرعية أكاديمية قوية.

رابعا: ربط العربية بالتنمية الفكرية والاجتماعية

حتى تظل العربية ذات صلة في المجتمع النيجيري، ينبغي ربطها بقضايا التنمية الفكرية والاجتماعية، مثل التعليم، ومحو الأمية، وتعزيز قيم الحوار والوسطية. فالعربية ليست مجرد لغة دينية، بل يمكن أن تكون أداة فاعلة للمشاركة في صياغة مشروع حضاري شامل. ويشير الزبير (1999: ص 278) إلى أنّ العربية عندما تُربط بالتنمية والنهضة الفكرية، فإنها تتحول من لغة تراثية إلى لغة حيوية مؤثرة في المجتمع.

ويتبين من هذا المحور أنّ مستقبل اللغة العربية في نيجيريا مرهون بمدى القدرة على استثمار إرثها التاريخي، وتبني استراتيجيات عملية تعزز حضورها في التعليم والإعلام والثقافة. ومع أنّ التحديات قائمة، فإنّ الإمكانات المتاحة كبيرة، خاصة إذا ما تضافرت الجهود بين المؤسسات الأكاديمية والدينية والثقافية داخل نيجيريا وخارجها.

الخاتمة

بعد استعراض المسار التاريخي للغة العربية في نيجيريا، وتحليل أبعاد تأثيرها الثقافي والاجتماعي، يتضح أنّ العربية لم تكن مجرد لغة وافدة، بل غدت جزءًا أصيلًا من الهوية الدينية والثقافية للمجتمع النيجيري. فقد ارتبطت العربية منذ قرون بالتعليم الإسلامي، وأدت دورًا محوريًا في صياغة البنية الفكرية والاجتماعية، وأسهمت في إنتاج تراث أدبي وعلمي غني.

لقد تبيّن من خلال البحث أنّ العربية في نيجيريا حملت وظائف متعددة:

- أنها لغة دين وعقيدة، إذ ارتبطت بالقرآن الكريم والعلوم الشرعية.
- أنها لغة ثقافة وأدب، أنتجت نصوصًا شعرية ونثرية ذات طابع محلي وعالمي.
- أنها لغة مجتمع وهوية، شكّلت مكانة العلماء وربطت نيجيريا بالعالم الإسلامي.

ومع ذلك كله أنّ العربية، في بداية دخول القرن الحادي والعشرين، تواجه تحديات كبيرة فرضتها هيمنة الإنجليزية باعتبارها لغة رسمية، والعولمة التي عززت حضور اللغات الأجنبية، وضعف المؤسسات التعليمية العربية، فضلًا عن المنافسة المتزايدة مع اللغات المحلية.

وفي المقابل، يحمل المستقبل فرصًا واسعة للنهوض بالعربية في نيجيريا، شريطة تبني استراتيجيات عملية تقوم على تحديث المناهج الجامعية، واستثمار الإعلام الرقمي، وتعزيز

التعاون الأكاديمي مع العالم العربي، وربط العربية بالتنمية الفكرية والاجتماعية. إنّ العربية في نيجيريا ليست مجرد لغة تراثية، بل يمكن أن تكون أداة حضارية للمشاركة في بناء مجتمع أكثر وعيًا وانفتاحًا.

وبناءً على ذلك، يمكن القول إنّ الحفاظ على مكانة العربية في نيجيريا يتطلب تضافر الجهود بين المؤسسات الأكاديمية والثقافية والدينية، بما يضمن استمرارية تأثيرها، ويحوّلها من لغة محصورة في نطاق التقليد إلى لغة فاعلة في صياغة مستقبل المجتمع النيجيري في القرن الحادي والعشرين.

قائمة المراجع

أولًا: المراجع العربية

- عبد الله، محمد الأمين. **تاريخ اللغة العربية في إفريقيا**. القاهرة: دار الفكر العربي، 2005م.
- الحاج، إبراهيم. **الإسلام والثقافة العربية في غرب إفريقيا**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2010م.
- الزبير، نور الدين. **عثمان بن فوديو والإصلاح الديني في غرب إفريقيا**. الرباط: المعهد الإفريقي للدراسات الإسلامية، 1999م.

ثانيًا: المراجع الإنجليزية

Hunwick, J.O. *Arabic Literature of Africa, Vol. II: The Writings of Central Sudanic Africa*. Leiden: Brill, 1995.

Last, Murray. *The Sokoto Caliphate*. London: Longman, 1967.

Boyd, Jean. *The Caliph's Sister: Nana Asma'u, 1793–1865, Teacher, Poet and Islamic Leader*. London: Frank Cass, 1989.